

ماهو المكتب الدائم

* للدكتور عبدالحق فضل *

وأدب لأصبح لكل منها معجها الخاص وطابعها المتميز ولا تقطعت الصلة الفكرية بين الاقطار العربية . وان كان معارضو الفكرة من محبي العربية قد تكهنوا بأن كل قطر سيضطر عندها الى ترجمة مؤلفات القطر الآخر فاني أقول العكس لان الخطب ادهى من هذا ، فما كان هذا ليحصل الا نادرا لان المترجمين كانوا يتوجهون عندئذ الى ترجمة الكتب الغربية الراقية بدلا من ترجمة النتاج العربي الذي لا يسد رواجه نفقات ترجمته وإعادة نشره ، ولا سيما لقلة الجيد المجزي فيه . ونقطة أخرى أذكرها لا أدري ان كان احد قد تطرق اليها هي أن جعل الكتاب مطبعا على الغرار الذي فشل مخطئه كان قميئا بأن يقضي على الثقافة العربية قضاء يكاد يكون مبرما . ذلك بأن ضيق ابعاد المحلية كان سيحدد رواج الكتاب بل يخنقه فلا يبقى على المؤلف والناشر الا أن يتكبد الخسائر الجسام التي لا تقبل احد أن يتكدها . واليوم بالرغم من انفتاح الاقطار العربية أمام الكتاب العربي قلما ربح مؤلف شيئا مجزيا من كتاب جاد راق .

هذه الجدران اللغوية خفت الفصحى الى النجدة فهدمتها حيث أصبح العربي يتفاهم مع العربي ، من أي قطرين كانا ، بلغة قريبة من الفصحى . مفرداتها فصيحة وقواعد تركيب جملها متقاربة ، ولا يكاد ينقصها سوى الاعراب . والى جانب هذا شاعت الفصحى التقليدية على صعيد الصحافة والكتساب والإذاعة ، فعمت ألوها .

قبل التحدث عن المكتب دعوني أتحدث أولا عن علة وجوده ومبرر دوامه .

عندما انحلت العربية الفصحى في عصور الظلام فتوزعت الى دارجات متباينة أصبح يصعب التفاهم فيما بينها أحيانا ويتعذر أحيانا حتى كان العربي يسمع في غير دارجته لغة شبه أجنبية عنه كالسريانية والآشورية لا يكاد يفهم ، أو لا يفهم منها شيئا قط . حتى الالفاظ المشتركة المستعملة بنفس المعنى يتباين نطقها أحيانا الى حد يتعذر معه التعرف عليها . وحتى الالفاظ المفهومة نطقا وفصاحة معنى لا يمكن فهم بعضها اصطلاحا لأن كلا من تلك الدارجات يستعمل لأداء المعنى الواحد المشترك لفظا فصيحاً غير مشترك ، تضرب مثلا على ذلك معنى الشيء المعطوب لا يصلح للاستعمال ، فهو في العراق خربان ، وفي سورية منزوع ، وفي مصر خسران ، وفي المغرب مخسر (زنة مجسم) . و (الجيد) في العراق بلفظة بغداد زين ، وبلغة الموصل مليح ، وهو في سورية منيح ، وفي مصر كويس ، وفي المغرب مزيان . وكلها صحيح أيضا وفصيح (عدا منيح) وكلها بدون استثناء: مليح . لكنها غير مفهومة بمعناها المقصود دون سابق تعلم .

هكذا أصبحت الدارجات اقليمية محلية ، يقوم دون كل منها جدار يحول دون التفاهم بينها وبين الآخرين . ولو قد تسنى لخصوم العربية أن يحققوا أمنيته جعل اللغات المحلية الدارجة لغات كتاب

فان الترفيع مثلا فى العراق يقال له الترقية فى مصر .

والرخصة تسمى فى قطر اجازة ، وفى آخر اذنا ، وفى آخر تصريح ، وفى آخر ترخيصا .

والعلاوة هنا تسمى مخصصات هناك ، ويدل هنالک .

والقطع الاحتياطية ، قطع غيار

ومقابل قوم عند قوم متمهد .. الى آخر ما هنا وهناك وهنالک .

« والكاتب » الذي يطلق فى المشرق على اصغر الموظفين فى الديوان الحكومي يطلق فى المغرب على احد اكبر موظفي الدولة وقد يطلق على رئيس الحكومة احيانا . والكاتب العام للوزارة فى المغرب على كسل حال هو من يسمى فى العراق وكيل الوزارة .

ومع الرقي الحضاري والتقني ترتقي مشاكلنا اللغوية حتى تبلغ ذروتها فى التقنيات ولا سيما فى عالم النفط الذي أصبح دنما الاسود يجري فى شرايين حياتنا الاقتصادية فى عدد كبير من الاقطار العربية - التي سترداد عددا فيما ينتظر من كثر التحريات المستمرة فى معظمها عن منابع النفط . وقد تلقى مكتب تنسيق التعريب معجما او شبه معجم من جامعة الدول العربية التي تضطلع بجمع المعاجم من مختلف الاقطار العربية وهو يضم مصطلحات ست دول عربية نفطية . ومن النادر ان يتفق مصطلح بين اثنين او ثلاثة منها ، ولم تتفق كلها على اي مصطلح واحد . فمن المحال طبعا ان يفهم احد المختصين فى قطر منها ما يكتبه اليه مختص آخر من قطر سواء .

وقد صادف ان مر بين يدي معجم النفط هذا (الذي لا ادري لماذا طبعه المكتب باسم معجم «البترول» بالرغم من اعتراضى على هذه التسمية ، ولعلها من هفوات النسخ او الطبع) (1) . واضرب من هذا المعجم

وعندما اخذت الاقطار العربية تفيق من غفوتها اخيرا واحدا بعد آخر ، وجد كل منها نفسه امام الجدار الاكبر الذي اقامه انطفاء شعلول الثقافة العربية فى العصور المظلمة التي ساد فيها الحكم الاجنب والجهل الاسود معا فكانهما تواما . ذلك الجدار الاكبر هو تخلف العربية كل تلك العصور عن مماشاة ركب العلم بل عن قيادة ركب العلم كالذي كان منها . فاخذت كل دولة عربية تحاول بمفردها هدم ذلك الجدار بوضع المصطلحات العربية مقابل الاجنبية علمية وفنية وتقنية طفقت تندفق علينا مع سيل الثقافة الغربية . وقد قطعت كل دولة فى هذا المضمار اشواط متفاوتة .

لكن هذه الفصحى الجديدة التي هدمت لنا جدران العزلة بين الدارجات اقامت لنا هي بنفسها جدران من نوع آخر بين الاقطار العربية تحول دون التفاهم احيانا وتشوشه احيانا كثيرة . ذلك بأن افراد كل قطر عربي بوضع المصطلحات المستحدثة لنفسه جعل له مصطلحاته الخاصة التي تختلف قليلا او كثيرا عن مصطلحات كل قطر آخر . واصبح الكتاب المدرسي فى العلوم او الفنون او الصناعات محليا جدا ، واقليميا انفصاليا ، والمثل التقليدي الذي يضربونه فى هذا الباب هو ما سمته الدارجات « الرقاص » منذ عرفته فى الساعات . وبعضهم كان يسميه البندول تعريبا لاسمه الاوربي Pendulum . فكان من بعض الاقطار العربية ان عربته باسم (المياس) واخرى (المياد) واخرى (النواس) .

ولكلها صحيح ومليح وفصيح - كذلك الالفاظ التي تقدمت بنا - لكن من الذي يستطيع ان يعرف ان ما تقصده انت بالنواس هو ما اقصده انا بالمياس ؟

على ان تأقلم الكتاب المدرسي ليس به كبير باس فى الواقع فلكل بلد عربي مناهجه الدراسية وكتبه المدرسية التي ينلر ان يؤخذ بها فى قطر سواء . لكن المشكلة تتجسد فى الكتب الثقافية العامة والصحافة والاذاعة .

(1) النفط كلمة عربية فصيحة ، مائية نبعية المعنى . من اخواتها : نبط ، نبع ، نبغ ، نبق .. النخ . وقد وردت فى البابلية بصيغة « نبطو » او « نبطو » على طريقة القوم فى ضم اواخر الالفاظ .

ان صيغة الفاعل تحتل معنى الفاعل والمفعول .
والنفط المقصود فى تلك البحيرة لم يخزنه احد ولم
يخزن هو نفسه ، فهو لا فاعل ولا مفعول . قل انه
متجمع او مجموع .. مختزن - بفتح الزاي او كسرهما ،
كما تشاء . لكني فضلت صيغة « الخزين » لخفتها على
اللسان ودقتها فى اداء المعنى . وجمعها « الخزنة »
على غرار : الشريط والاشربة ، الرغيف والارغفة ،
النصيب والانصبه ..

المقصود من كل هذا ان نعمة انصراف الاقطار
العربية الى وضع المصطلحات بنفسها دون انتظار لما
تقره المجامع العلمية واللغوية لها - اصبحت نعمة عروبية -
لانه تفرق بين العرب وتباعد شقة الكلمة والفكرة التي
تتوجه الاماني والادعية الى جمعها وتوحيدها .

وكما نهدت الفصحى لهدم جدران الدارجات ،
نهت مكتب تنسيق التعريب لهدم جدران المصطلحات
الفصحى . لقد أحست الدول العربية بخطورة هذا الامر
الانشقائي الا وحدوي - المعرقل لانتشار الثقافة
وتبادل المعرفة والمصلحة فتقرر فى اجتماع عقده
مملوها فى الرباط : تأسيس مكتب .. دائم ..
لتنسيق التعريب .. بين الاقطار العربية .

فهذه هي علة وجود المكتب ، ومبرر دوامه .
وهذا هو عمله .. وحدوي عروبي .. اساسه علمي
خالص ، وللسياسة ان تأخذ منه ما تحتاج اليه او
تستطيعه .

لكن طموح المكتب وفورة نشاطه لم يستطع معهما
جلوسا ولف ساق على ساق بانتظار ان تأتبه المعاجم
جاهزة لينسقتها . عكف هو من اول امره على تأليف
المعاجم ابتداءا وابتداعا . ولقلة امكاناته المادية طبعها
طبعاً متواضعاً بالمهرق ووزعها على المعنيين بتدريسها
ويناقشونها ، قبل ان يتلقى اي معجم او مشروع معجم
من احدى الدول العربية او من جامعة الدول العربية .

النفطي مثلاً واحداً لاهم مصطلح فيه - بعد اسم النفط
الذي بترلوه ! - وهو اسم البحيرة من النفط المختبئ
فى جوف الارض . فقد سبق ان سمته الفرنسية
Reservoir من معنى الماء الذي كانوا يحفظونه
احتياطاً ، فلذلك أطلقوه على الصهريج ايضاً ، وعلى
صناديق المعدن المملوءة بالماء تنقلها الدواب للجيش
عند تنقله ولا سيما فى الاماكن الوعرة التي لا تقدر
عليها السيارات . وقد أطلقت هذه الكلمة الفرنسية
على نفس المعنى النفطي فى الانكليزية كذلك . فكان
من المترجمين العرب الاولين ان سموه « الاحتياطي »
.. او احتياطي النفط . لكن النفطين (2) المحدثين لم
يعجبهم هذا المصطلح لانهم شعروا فيما يظهر بما يسببه
من اللبس عند استعماله بمعان أخرى فى مختلف
الشؤون غير النفطية فكان من بعضهم ان سمى تلك
البحيرة السوداء الخفية « الصهريج » من ذلك المعنى
الفرنسي . وآخرون سموها « المكمن » باعتبار النفط
كامناً فيها ، وآخرون سموها « الكمين » . وهؤلاء
واولاء وقعوا فى التباس آخر ، فالصهريج ما زال
يستعمل بمعناه المائي الشائع ، والكمين والمكمن كثيراً
ما يستعملان فى شؤون لا صلة لها بالنفط ، ولا سيما
فى هذه الايام : كمائن الفدائيين .

وهكذا صار لدينا أربعة مصطلحات على الاقل
- حسبما يحضرنا الآن : الاحتياطي ، الصهريج ،
الكمين ، المكمن . وتجدها كلها متفرقة فى المجلات
والنشرات النفطية التي تصدر فى كل واحد من
الاقطار العربية النفطية . وبديهي ان اهل الصهريج لا
يفقهون ما يقصده اشقتهم بالاحتياطي ، وهؤلاء يتحIRON
حين يجدون اشقتهم الآخرين يتحدثون عن الكمين فى
شؤون نفطية لا يعرفون لها صلة بالعمل الفدائي .

وكان مني ان اقترحت بدل كل هذه المصطلحات
مصطلحاً آخر لا أدري هل ساعد على حل المشكلة ام
زادها اشكالا .. وهو « الخزين » .

(2) تقترح « النفاط » بمعنى المختص او المشتغل بالنفط ، على غرار الزيات والسمان .

وهذا كله من مشجعات التعريب ومتممات تنسيقه .



وما كان لي انا شخصا ان اتوه بفضل المجلة
وانا احد محرريها ، رافقتها بغير انقطاع منذ العدد
الثاني . فقد عرفت المكتب عام 1964 ورأيت العدد
الاول من مجلته وغيره من منتجاته ، واطلمت على
الجهود النشيطة المتبصرة التي ترأس العمل فيه
وتقوده وتدفعه ، بالرغم من ضعف المادة وقلة الايدي
والاقلام - فأكبرت ذلك العمل الجهادي المخلص .
واذا بي اجدني منخرطا فيه طبيعيا وعفويا وتطوعيا ..
وكانما جرى ذلك دون ارادتي او علمي .

فهل تريدونني بعد هذا على ابداء رأيي في
المكتب الدائم لتنسيق التعريب ؟ ...

ودفعه - بالاضافة الى طموحه ونشاطه - بعد
نظره الى انشاء مجلته هذه التي اصبحت معلما من
معالم الثقافة العربية بل منارا تفيء اليه السفن اللغوية
العائمة في محيط الانبعاث الفكري . انها هذا
« اللسان العربي » الذي سمعنا عنه من كل من اطلع
عليه من الثناء ما لا يسمح لنا بان نزيد عليه .

اما بعد النظر في اصدار المجلة فهو ان ادارة
المكتب شعرت ان لهمة مكتبها جانبا طليعيا هاديا ،
بالاضافة الى الجانب التقني الوتيري .. فنصبت من
« اللسان العربي » منبرا يلقي العرف من علاه الكلمة
الرائدة والبحث المستجد ، زيادة على كونه معرضا
دوارا لعمليات خلق المصطلح وتصحيحه وتنسيقه ،
في مختلف المعاجم .

وفي هذا وذاك لا تثقيف فقط بل استنفار للهمم
اللغوية واناة للطريق الاستطلاعي وحض على التبليغ .